في الذكرى 68 لميلاده

الموسيقار احمد بن احمد قاسم قمة الحداثة في الغناء اليمني المعاصر

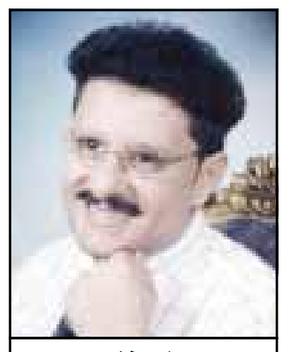

عصام خليدي

رائع وجميل أن نحتفي بقامات فنية رائدة كالموسيقار احمد بن احمد قاسم ومن هم على شاكلته استطاعوا أن يقوموا بدوراً نهضوياً ونضالياً كبيراً من أجل الارتقاء بالفنون والثقافة بمجملها ونستطيع ان نجزم ان الدور الفكري المعرفي والإبداعي الذي لعبوه لا يقل أهمية ولا وطنية عن دور كل من ناضل وحمل السلاح وكافح من أجل عزة وحرية ورقي اليمن.

يصادف اليوم السبت الموافق ١١ مارس ٢٠٠٦م ذكرى مرور ٦٨عاماً لميلاد الموسيقار احمد بن احمد قاسم ذلك المبدع الذي كان ولايزال صرحاً فنياً شامخاً عملاقاً بما قدمه من عطاء.

موسيقياً متميزاً وفناً خالداً وهو صاحب أفضال موسيقية متعددة وكثيرة ورائداً رفع على كاهله مهمة النهوض بالموسيقى والغناء اليمني، ذلك بتأسيسه أشكالاً موسيقية مبتكرة جديدة حملت على جنباتها عمقاً وبعداً موسيقياً ذو دلالات ورؤى لم يسبقه فيها أحد حيث يتضح ويتجلى ذلك باهتمامه واعطائه الجانب الموسيقي دوراً هاماً أستطاع به ومن خلاله ان ينمي الأذن اليمنية ويرتقي بالذائقة الموسيقية والاحساس بقيمتها التعبيريه عند المستمع اليمني مكنه من تحقيق ذلك الدور الريادي الجديد بنجاح عوامل واسباب كثيرة أهمها مايلي:

موهبته الفذة المبكرة/ دراسته العلمية المنهاجية/ المناخ الثقافي والفني الخصب في فترة الخمسينات ووجود باقة متميزة من الأدباء والشعراء الذين أستفاد منهم كثيراً وفي مقدمتهم الشاعر والأديب العظيم لطفي جعفر أمان/ الدكتور محمد عبده غانم/ الأديب والشاعر علي محمد علي لقمان/ الاستاذ مصطفى خضر/ الشاعر الرقيق احمد الجابري/ الشاعر فريد بركات/ الدكتور سعيد شيباني/الشاعر عبدالله عبدالكريم/ الأستاذ احمد شريف الرفاعي/ الأديب واشاعر محمد سعيد جرادة/ الاستاذ القدير ادريس حنبلة/ الاستاذ ابوبكر بغدادي وآخرين بالإضافة إلى أدواته الموسيقية التي ساعدته على القيام بدوره وفعله النهضوي والتأسيسي المبكر.

كل هذه الأسباب والعوامل مجتمعة كان لها دوراً مهماً وحاسماً بتشكيل ثقافة ووعي فناننا الراحل احمد قاسم الأمر الذي جعله متميزاً ومتفرداً بفنه ونستطيع القول هنا أنه كان بإمكاننا أن نستخلص من الحان احمد قاسم قطعاً موسيقية بقدر ما تكون هي موسيقى تعبيرية للكلمات المغناة لالحانه فانها ايضاً قطعاً موسيقية مستقلة نتذوقها بعذوبة وكانت تلك هي احدى أهم مميزات الحداثة والتجديد الموسيقي في أعماله التي كانت تتميز بالغزارة والثراء الموسيقي بكل أغانيه بالاضافة إلى استخداماته المتعددة للنقلات الموسيقية في كل مذهب وكوبليه والقدرة على تطويع المقامات الموسيقية بانسياب لحني نغمي غاية في الروعة والجمال، والحقيقة أن كل ما سنتناوله في موضوعنا كان فيه احمد قاسم مجدداً وصاحب دوراً ريادياً واستاذاً قام بتدريس النوتة والاصول العلمية الموسيقية لمجموعة من الفنانين والموسيقيين زملاءه وكذلك الذين جاءوا من بعده، وكان صاحب ثقافة موسيقية واسعة الأمر الذي استطاع ان يمكنه من ان يتجاوز بموسيقاه وفنه الإطار اليمني الى إطار عربي، وكان ذلك تحدياً نجح به بتفوق ليصبح من وجهة نظري (حلقة الوصل بين الموسيقى والغناء اليمني والعربي).

وفي الواقع اذا اردنا تحليل وتوضيح حداثة موسيقارنا الراحل احمد بن احمد قاسم علينا ان نستشهد بشواهد من اغنياته فمثلاً: عندما تحدثنا عن الحداثة في موسيقاه وما يحتويها من قطعاً موسيقية بقدر ما تكون هي موسيقى تعبيرية للكلمات المغناة فانها أيضاً قطعاً موسيقية مستقلة نتذوقها بعذوبة امثلتنا على ذلك كثيرة منها أغنية قالت لي/ مش مصدق/ ياعيباه/ أنت ولا احداً سواك/ تهجر وتنساني/ موكب الثورة.. فلو تركنا صوت الفنان احمد قاسم جانباً واستمعنا الى موسيقاه فقط سندرك ان هناك جهداً موسيقياً واضحاً في الالحان وقدرة موسيقية نادرة بل وفائقة يمكنها ان تغنينا عن الصوت والكلمات المغناة كقطعاً موسيقية معبرة ومستقلة، وفي الوقت نفسه توصلنا وتعبر لنا عن معنى ما يحتويه النص الغنائي بصور موسيقية بديعة وعن المضمون الذي يريده الشاعر في ترجمة قصيدته.

ومن هنا تكمن حداثة وعظمة وقدرة احمد بن احمد قاسم وريادته في موسيقانا وتطويرها ومن أهم عناصر التجديد في موسيقاه والحانه التوزيع الموسيقي المدروس بعناية فائقة/ تعدد الكوبليهات/ التغييرات المقامية العربية وأيضاً الغربية التي كانت تفتقر (الربع تون الشرقي المعروف) مثال على ذلك:

مقام النهوند/ الماجير/ العجم الذي استطاع ان يدخلها في موسيقاه وأغنياته ويوظفها توظيفاً ذو خصوصية يمنية معاصرة غاية في الروعة والانسياب خاصة في اوبريته الغنائي الشهير (يامزهري الحزين) بالاضافة الى ذلك توظيفه لبعض الايقاعات الغربية العالمية وايقاعات أمريكا اللاتينية في موسيقانا اليمنية من خلال الحانه واعماله الغنائية، كايقاع الرومبا/ السامبا/ الفالص، وقد استخدم هذه الايقاعات في موسيقاه واعماله نتذكر منها على سبيل المثال ايقاع (الرومبا) الذي استخدمه في اغنية (اسمر وعيونه) وايقاع (الفالص) الذي استخدمه في اغنية (مش مصدق) في الكوبليه الذي يقول فيه (جنة الانوار والازهار والسحر المثير) وايقاع السامبا الذي قدمه في اغنية (حبيبي ليه تجافيني) وكان موفقاً للغاية ورائعاً باستخدامها بشكل بديع مما جعلها متداولة ومحببة لقلب كل مستمع يمني وعربي على السواء، اللافت هنا ان بعض الايقاعات التي استخدمها احمد قاسم قبل اربعين عاماً نجدها تستخدم اليوم من قبل عدد من الفنانين العرب الشباب وفي الحقيقة انه عندما يتحدث المرء عن قامة موسيقية وذاكرة فنية ارتبطت بوجدان كل يمني وعربي واستطاعت وبنجاح ان تحتل لنفسها موضعاً ريادياً فان الحديث يطول ويأخذنا إلى عدة محطات ووقفات رافقت مشواره الفني الطويل وقد تحدثنا عن اهمها في بداية موضوعنا واستطيع القول ان فقيدنا كان مجدداً منذ أولى محاولاته التي ابتدأ بها مشواره الموسيقي الغنائي ذلك أوضحناه في البداية، لكنه حتى عندما تعامل مع الموروث الغنائي اليمني لم يتعامل معه بشكل نمطي بل كان للحداثة والتطوير والتجديد أيضاً في موسيقاه والحانه دوراً بارزاً وملحوظاً وتأثيراً فاعلاً يتجلى بوضوح لمن يستمع إلى اعماله الموسيقية الغنائية ببصيرة وتأمل مثالنا على ذلك ما قدمه في بداية حياته الفنية في اغنية صدقت كلام الناس وأغنية (حقول البن) فلو قمنا بتحليل موسيقي للاغنية الاخيرة سنعلم مدى المستوى الفني المتطور الذي قام به حيث انه استخدم مقام (الراست على الراست) في المذهب وبعدها يتنقل في الكوبليه إلى مقام آخر (البيات على الصول) واعطانا مقدمة موسيقية في المذهب ومقدمات أخرى بين الكوبليهات بالاضافة إلى أنه استخدم ايقاع الشرح اليمني المعروف والقديم الذي يكتب موسيقياً على النوته بالشكل التالي ٨/٦ والابتكار في الصياغة الموسيقية والنغمية التي يصحبها (بضم الياء) دائماً بالتوزيع الموسيقي والنقلات المقامية/ وما تحدثنا عنه سلفاً من إضافات موسيقية معبرة لم يسبقه بها احداً من قبل، وكان للاصالة دوراً مهماً ومتطوراً في أعماله الموسيقية إذ أنه لم يأخذ الموروث الغنائي كما كان حاله، بل أضاف إليه وطوره بشكل أكاديمي موسيقي كما سمعنا في أغنية (حقول البن) وأغنية (صدقت كلام الناس) اللتان قدمهما بشكل أصيل متطور إذ يخيل إلينا عند سماعهم وكأننا بين سهول ووديان اليمن الخضراء كذلك هو الحال في أغنية (ياحلو يا أخضر اللون) الذي استخدم فيها ايقاع (شرح بدوي مقسوم) وهو ايقاعاً يمنياً تراثياً قديماً ولحنها على مقام (الحجاز كار) وتألق فيه وابدع في النقلات اللحنية والصور الموسيقية البديعة المعبرة التي رافقت وصحبت هذا اللحن الجميل وأغنية (ياطالعين الجبل) التي لحنها على مقام (الرست) واستخدم فيها الايقاع المصمودي الذي يكتب بالنوتة على شكل ٤/٤ مثال آخر يؤكد قدرته الموسيقية على تطوير الارث الغنائي اليمني القديم وذلك بخروجه عن المألوف بالحانه المبتكرة التي جمعت بين الاصالة والمعاصرة لتصبح اليوم إرثاً موسيقياً غنائياً يمنياً وعربياً كأغنية (زاد الهوى والغرام) التي لحن مذهبها على مقام (حجازكار) كان هذا في المذهب وفي الكوبليه انتقل إلى مقام الرست على الدرجة الرابعة (جهاركا) ثم إلى نقلة أخرى على مقام (النهوند على الدو كردان) واستخدم فيها الايقاع الشرحي ٨/٦ وهو أيضاً ايقاعاً شرحياً يمنياً كان متداول ولازال ولكنه تعامل معه بشكل موسيقي جديد جعل فيه هذا الايقاع يلبس ثوب نغمي موسيقي قشيب، وتلك هي عناصره المتميزة في الحداثة ولك ان تعلم ان هذا اللحن يعتبر ثاني الحان احمد بن احمد قاسم فوجه التجديد والتطوير الموسيقي الغنائي واضحاً وملحوظاً كي ندلل للمهتمين بالبراهين والامثلة مصداقية ما نقول وما قدمه هذا الموسيقي العظيم، الأمر الذي يؤكد انه كان عملاقاً وفناناً يمنياً أفنى حياته في خدمة الموسيقى اليمنية وتطويرها رغم ما واجهته من صعوبات وانتقادات أتذكر منها نقداً جارحاً كنت قد قرأته في احدى الصحف الفنية اليمنية في نهاية الخمسينات وقعت بالصدفة بين يدي تعيب عليه استخدامه للايقاعات العربية والغربية في بعض اغنياته وفي الواقع نحن نرى حتى في استخدامه للايقاعات المتعددة والمختلفة في اغنياته كان عظيماً وعبقرياً كعادته لسبب بسيط هو انه استطاع توظيفها والباسها ثوباً موسيقياً غنائياً يمنياً قشيباً ومصحوباً أيضاً بعنصر التجديد.

ذلك هو فقيدنا الموسيقار احمد بن احمد قاسم (قمة الحداثة في الغناء اليمني المعاصر) وذلك ما استطعنا واسعفتنا به ذاكرتنا بقول كلمة (حق) لمن فارقنا وتركنا نشعر بمرارة وبحسرة ليس اعتراضاً على مشيئة الله سبحانه وتعالى ولكن لايماننا انه مات وهو مازال يختزل بداخله كنوز وفنون موسيقية لم يستفاد منها بعد لكن إرادة الله فوق كل شيء وربما ان الخالق اشفق عليه وأخذه إلى جواره كي لا يعاني مزيداً من الاجحاف واللامبالاة بيننا ودائماً إيماننا راسخاً وعميقاً بان الخالق أبصر وأعلم منا بعباده وبما كان سيلقاه موسيقارنا الراحل احمد قاسم لو عاش واحس بقلبه المرهف الرقيق كيف كان وفائنا لمن كان (حلقة وصل بين الموسيقى والغناء اليمني والعربي ولمن خدموا الوطن أمثاله).

كلمة أخيرة

اقولها بصوت ملئه الأسى والحزن لعلها تيقظ من هم معنيون بأمور المبدعين ومن بأيديهم المحافظة على رموزنا والبقية الباقية منهم وهم للأسف في أسوء الاحوال صحياً / معنوياً/ مادياً ولكني لن أستجدي احداً نيابة عنهم وهم القامات السامقة التي رفعت على كاهلها اليمن إلى أعلى وأسمى المرتبات أدعوهم من منطلق مواقعهم وما يتمتعون به من صلاحيات هم أدرى وأعلم منا بما يجب فعله وعمله في مثل هذه الحالات الإنسانية.. قبل كل شيء؟!

أتصدق عزيزي القارئ أن المعاش الذي يصرف من الدولة لإعالة أسرة الفقيد احمد بن احمد قاسم موسيقار الأجيال بعد وفاته عبارة عن سبعة آلاف ريال فقط.. ويااللعجب!!

كل هذه الاضافات كانت بطريقة علمية مدروسة جعلته يبتعد عن التكرار ويكون صاحب مدرسة موسيقية فنية حديثة مستفيد مطور للموروث ذلك لان هذا الايقاع استخدمه من قبله كثيرون ولكن عندما تعامل معه موسيقارنا كان بطريقة جديدة مغايرة وهنا تكمن وتأتي الحداثة

خرج عن المألوف في ألحانه التي جمعت بين الاصالة والمعاصرة لتصبح إرثاً موسيقياً غنائياً يمنياً وعربياً

□□□□□□□□□□□□□

عمل على توظيف إيقاعات الرومبا والسامبا والفالص في ألحانه وألبسها رداء موسيقياً يمنياً وعربياً

حقق دوره الريادي بفضل موهبته الفذة ودراسته العلمية المنهاجية بالإضافة إلى المناخ الثقافي الخصب في فترة الخمسينات واستفادته من الأدباء والشعراء المرموقين

□□□□□□□□□□□□□

نستطيع ان نستخلص من ألحانه قطعاً موسيقية بقدر ما هي موسيقى تعبيرية للكلمات المغناة فإنها أيضاً قطع موسيقية مستقلة نتذوقها

من أهم عناصر التجديد في موسيقاه/ التوزيع الموسيقي المدروس/ تعدد الكوبليهات/ التغييرات المقامية العربية والغربية/ توظيفه للمقامات الغربية المفتقدة للربع تون الشرقي في موسيقانا

مبدعون في الذاكرة

موسيقار اليمن الكبير احمد قاسم

عشت قصة فيلم (حبي في القاهرة) قبل أن أمثلها

عبدالقادر الخضر

قال أديبنا الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح عن الفنان الموسيقار احمد قاسم: (ان الفنان احمد قاسم أهم فناننا وأكثرهم ثقافة موسيقية.. وعندما أقول ذلك فانا لا اعتدي ولا أقلل من قيمة بقية الفنانين المبدعين، بل أسجل حقيقة معترف بها من المجتمع.. فقد كان احمد قاسم أكثرهم جميعاً إطلاعاً على عالم الموسيقى.. وقد أتاحت له دراسته في القاهرة ثم روسيا أحدث النظريات في عالم الفن الموسيقي..

وعندما نبدأ في مراجعة آثار هذا الفنان الكبير سوف تكتشف أنه قد ترك العديد مما يستحق الكثير من تقدير بلاده).

(أما أستاذنا وأديبنا الكبير عبدالله البردوني فقد قال لي وهو يحدثني عن احمد قاسم: احمد قاسم موهبة لحنية كبرى، وموهبة صوتية راقية جداً.. وأعتقد انه من كبار الملحنين والفنانين.. وأظن أننا إلى الآن لم نعرف قدر احمد قاسم!!

ليسمح لي صديقي القارئ ان انتقل الى عام ١٩٦٦م من القرن الماضي .. حيث نحن الآن متوجهان إلى لحج بسيارة فناننا الكبير احمد قاسم (الكاديلاك) يرافقنا الفنان محمد عبده زيدي والفنان عبدالرحمن باجنيد، حيث عاد احمد قاسم في ذلك الأسبوع من مصر إلى عدن.. وفي الطريق سألته:

من لفت نظرك من الفنانين الذين ظهروا في المدة الأخيرة؟

الفنان محمد محسن عطروش.. ذا ممتاز جداً.. وأنا كنت أول من كتب عنه في صفحة التذوق الموسيقي في مجلة (أنغام).

احمد .. بصفتك ممثلاً.. وهنا قاطعني قائلاً:

ارجو أن تسحب كلمة ممثل هذه لانني لم أكن يوماً من الأيام ممثلاً.. وإذا أعتبروني الناس كذلك فهم مخطئون!!

هل معنى هذا أنك عشت قصة فيلم (حبي في القاهرة) قبل ان تمثلها؟

نعم عشتها.. وان كانت بطلة القصة في الفيلم مشلولة فليس معنى هذا أن بطلة القصة الحقيقية كانت مشلولة .. ولكن الشلل هو عقبات حصلت في حياتي بحيث خلتني أغير مجرى حياتي وقد رمزت إلى تلك العقبات بالشلل!!

احمد .. هل أنت سعيد؟

جداً جداً!!

أيهما اقرب إليك (التفاؤل) أم (التشاؤم)؟

طول عمري متفائل!!

هل تعرف من أنت؟

أنا الإنسان الفنان الطيب العصبي.. الذي يحب بكل ما أوتي من قوة!

ما هي صفات الإنسان الكامل؟

الإنسان الكامل هو الذي يعيش حياته الخاصة ويتمنى للآخرين السعادة ويسعى من أجل إعلاء وطنه باخلاص وأمانة لا بمظاهر وكلام .. والإنسان الكامل ياصديقي هو الذي يضحي من أجل الإنسانية نفسها!!

مما تخاف يا أحمد؟

أخاف من الناس التي لا ترحم ولا تعقب!!

متى تشعر بالضعف؟

أمام من أحب!

متى كان أول حب في حياتك؟

أول حب في حياتي يوم ما احسست به في قلبي من حبيبي!!

بماذا يتميز الإنسان عن الحيوان؟

الإنسان ميزته الفكر الجبار.. أما الحيوان فماذا غير حيوان!

متى يفقد الإنسان إنسانيته؟

متى ما تخلى عنها، وكل من تخلى عن شيء يفقده.. والإنسانية نفسها إذا ما تخلى عنها، لا يفقدها المتخلي عنها.. وانما يحكم على نفسه بالحياة (حيواناً)!!

ايهما اقوى يا احمد في الإنسان (الخير) أم (الشر)؟

يعتمد على نوعية التربية للإنسان

أنا الإنسان الفنان الطيب العصبي المتفائل!!

هذا.. وعندي أنا مثلاً: الخير أعمق.. والشر أقوى!

ما هو الشيء الذي تبحث عنه ولم تجده؟

اقناع الناس بأن على كل إنسان أن يعيش حياته حتى لا تتشعب الحكاية ويضيع الفكر في هذا أو ذاك.. ونجد أنفسنا بلا اساس قوى مركز في بناء أنفسنا!!

احمد.. كم مرة فشلت في حياتك؟

يا صديقي عبدالقادر أنت تعرف ان فشلي في حياتي أكثر من نجاحي!!

وكيف يصنع الإنسان النجاح؟

بالفشل.. الإنسان الناجح يحول فشله إلى نجاح!

هل تحب الدنيا يا احمد؟

لابد أن أحبها!

أيهما تحب أكثر.. الحب أم الفن؟

احب الحب لانه فن.. وأحب الفن لانه حب!!

ما هي أحلامك؟

أنا لا أحلم.. وانما أعيش واقعي!

وكيف تعيش واقعك؟

انتظر السيء قبل الحسن!!

ما رأيك في الناس يا احمد؟

مثل رأيي في نفسي!

وما رأيك في نفسك؟

لي أخطائي ومحاسني!

احمد.. قرأنا في مجلة (الموعد) اللبنانية و(الكواكب) المصرية بانك ستلحن أغنية للسيدة أم كلثوم .. ما هي حكاية هذه الأغنية؟

لم أكن أريد ان يتسرب هذا الخبر إلى الصحف لانه يشكل بالنسبة لي حلماً وأملاً.. ولكن عندما كنا نناقش موضوع الاغنية انا والشاعر المصري الكبير عبدالوهاب محمد كان معنا صحفي سرب الخبر.

والحكاية ياعزيزي .. أنا على صلة وطيدة بالشاعر الغنائي عبدالوهاب محمد والذي غنت له أم كلثوم مجموعة من الأغاني .. وهو نفس الشاعر الذي قدم بليغ حمدي لأم كلثوم .. ومن كثر اعجابه بي قرر بل صمم ان يقدمني لأم كلثوم كملحن.. ومن كثر ثقتي بنفسي بدأت الحن المذهب الأول من الأغنية .. وساقدمها قريباً لأم كلثوم.. وأنا واثق انها لن ترفضها .. وهذا ما أكده لي عبدالوهاب محمد وبعض الموسيقيين الذين يعزفون في فرقة أم كلثوم الموسيقية.. وتقول كلمات الأغنية التي كتبها عبدالوهاب محمد:

كنت اتمنى يكون العمر
لحظة بس جنبك
لحظة واحدة والتقيني عايشة
فيها جوه قلبك
مش ضروري تكون سنين
وسنين طويلة

مش ضروري تكون حكاية
ألف ليلة وليلة
تكفي ثانية.. ثانية
وأشرب فيها حبك
تكفي لحظة.. لحظة
واحدة بس جنبك

طيب أحمد.. أنت لحنت للطفي أمان والآن تلحن كلمات عبدالوهاب محمد.. ما هو الفرق بينهما؟

لطفي أمان مثقف ثقافة أعلى من عبدالوهاب محمد.. وعبدالوهاب محمد عاش التجربة في حقل التأليف أكثر من لطفي أمان.. وأعتقد انني منصف!!

والعجيب في الأمر انني عندما كنت أقرأ كلمات عبدالوهاب محمد للطفي يقول لطفي: أنا لازم اقابل الراجل ده.. وعندما أقرأ كلمات لطفي لعبدالوهاب محمد يقول هو الآخر: أنا لازم أقابل الراجل ده!!

احمد قاسم

الممثل بكفاءة لنماذج الغناء والموسيقى الصادرة من أعماق اليمن

د. عمر عبدالعزيز

الفنان الراحل احمد قاسم ينتصب بكفاءة مع صف من المبدعين.. هذه الكوكبة التي عاشت في الفن وللفن حد التماهي

تصادفت هذه الكتابة عن الفنان احمد قاسم مع جلسة استماع وتوحد أحن إليها من آن لآخر.. وها أنا أكتب هذه المادة في الإمارات العربية بناءً على دعوة من صديقي النشط الصحفي عبدالقادر خضر ووعد مني عند زيارتي الأخيرة لأرض الوطن ان أبعث بهذه المادة عن فنان اليمن الكبير احمد قاسم.

ان روح الفنان المحلقة في ملكوتها تتبدى لي متماوجة مع هارمونيا الانغام المنبعثة من (الجرامفون) أسمعه واستجليه في لحظات الصفاء مع (باغنين) صاحب الكمان المدهش مع (موزارت) اعجوبة الطفولة وروعة الخالق في تجليها موهبة فذة والحان بعذوبة الطبيعة وتحليقات طيور الغسق وتغريداتها المنسابة مع نسمات الصباح النقية ومروج الأرض الزاهية مع (فيفا لدي) وانغامه الصاعدة إلى السماء، بغنائية تختزل عوالم الروح تنساب شفافة كفيوضات المياه الجبلية الساطعة والأشهى من العسل!!

في هكذا تصادف وتخاطر عادت بي الذاكرة الى فقيد فن الغناء والموسيقى اليمنية، إلى عدن.. مدينة الليل.. منارة اليمن الأكثر عصرية.. أفضل ذاكرة جمعية للأمة عدن التي صهرت كل تجليات التاريخ العصري لليمن، بأفاراحه واتراحه .. باشراقاته وانتكاساته!!

احمد قاسم.. هو الممثل بكفاءة لنموذج الغناء والموسيقى الصادرة من أعماق عدن.. عدن بما هي حاضرة وذاكرة تآلف متوائم للتراث والمعاصرة .. للماضي والمستقبل!!لذلك كان بديهياً بحسب نواميس التطور التاريخي واقانيم الحضارة ان تتساوى معه قامات شامخة في الثقافة والموسيقى.. ومازلنا نعايش ابداعاتهم ونتعرف بما تركوه من قيم فنية كبيرة.. منهم مثالاً لا حصراً:

الشاعر الفنان الشامل (لطفي جعفر أمان) المحدث والرومانتيكي بكفاءة الفيلسوف الوجودي المتفكر والمتقد ذكاءً وبصيرة.. أحد الذين يمتلكون أدوات اللغة الشعرية كما الفكر وتجلياته وعاصر في التراث كما في الآداب الإنسانية..

كذلك الفنان محمد مرشد ناجي.. وحيد ذاته وجوهرة الاستجلاء لاجمل كوامن الفولكلور الغنائي اليمني.. الفنان المثقف الذي أجلى تنويعات الغناء اليمني وأذابها في واحديته وطريقته الخاصة!

وأيضاً الفنان ابوبكر سالم بلفقيه .. أكبر من أحيا واجلى التراث الفني الحضرمي .. مثلت الستينيات مدرسته الثانية بعد مدينته (تريم) .. ففي عدن تواكب أبوبكر سالم مع الغناء الجديد.. وشق طريقاً آخر بموازاة طريقته الصوتية الفريدة وحساسيته المستوعبة للتراث الفني الحضرمي!!

ومنهم أيضاً اسماء وقامات لا يتسع المجال لايرادها هنا.. لكن ما أود قوله ان الفنان الراحل احمد قاسم ينتصب بكفاءة مع هذا الصف من المبدعين.. هذه الكوكبة التي عاشت في الفن وللفن حد التماهي.. وإلى ذلك كان احمد قاسم في تفرده تعبيراً عن الملامح الرئيسية لفن غنائي يميز مدينة عدن بما هي حاضرة استثناء في اليمن.. شرعت أذرعها ليس فقط لأبناء اليمن الطبيعية بل وللجاليات الشقيقة والاجنبية.. ومازجت كل هذا التنوع والثراء في شخصية استقامت بما هي يمنية وعربية وإنسانية ايضاً!!

تحدث معي مرة المرحوم الفنان والذائقة الموسيقية الرفيعة جميل غانم عندما وصف احمد قاسم بانه (فنان حقيقي) بلغة جميل الاشارية ذات الدلالة العميقة.. تبين لي أن لاحمد قاسم مكانة خاصة في الفن المعاصر في اليمن.. لقد كانت شهادة مرسلة كما لو أنها شفرة للمستقبل!

إنها شهادة عازف كبير، وذائقة موسيقية أكبر تكشف لنا شيئاً من ابعاد الفنان المتميز احمد قاسم.

احمد بن احمد قاسم

ابوبكر سالم بلفقيه

محمد مرشد ناجي

لطفي جعفر أمان